الإهــــــداء

إلى حواء: التي ميزها الله برقة المشاعر، ودفئ العواطف، وصدق الأحاسيس .

إن الأحرى والأجدر بها، وبدقات قلبها الطاهر أن تتجه نحو دينها الإسلامي العظيم الذي رفع قدرها، وأعلا شأنها، وجعل الجنة تحت قدمها، وأعطاها من الجلال والقدر أن جعل الرحم مشتقة من اسمه الأعظم (الرحمن الرحيم) .

وجاء القرآن بثاني أكبر سورة تحمل اسم " النساء " تخليدًا لها واعترافًا بدورها.

وليس من باب الصدفة أن تكون خديجة الكبرى أم الإسلام الأولى، وأم المؤمنين الأولى، وزوج وحبيبة رسول الله ﷺ الأولى، والحصن المنيع للدين

ونبيه العظيم، بجانب الرجل ممثلا في أبي طالب عم الرسول ﷺ .

عندما تهاوى هذان الشامخان العظيمان، أعلن النبي ﷺ الحداد مدة سنة، وسَمَّى العامَ الذي ماتت فيه خديجة وأبو طالب عامَ الحزن.

أقـول: ليست مواقف خديجة من قبيل الصدفة؛ بل لأنها جديرة بما فعلت، وواعية لواجبها، مدركة لأهميتها وثقلها وتأثيرها.

فهل تزعمين بعد هذا سيدتي أنك في الهامش، وأنك عاجزة عن فعل أي شيء، وأنك ما خُلقتِ إلا للزينة والمتعة والأكل والشرب؟

نعـم: أنت زينة الحياة، وأنت لذة الجنة، ومتعة الخلود؛ إن أنت حملت راية أمك خديجة، وأبرزت شخصيتها الفذّة، وإرادتها الصلبة،وإيمانها العميق

القوي الصادق.

فيالك من مثال رائع وملاك كريم؛ إن أنتِ تمرَّدْتِ على الشيطان الذي يريد أن يجعلكِ من أمضى أسلحته في معركته مع الله، ويراهن عليك سيدتي لتكوني سهمه الذي لا يخيب.

فحاولي جهدك أن تُخيبي ظنه، وأن تسحبي البساط من تحت قدمه، وإذا تساءلتِ عما تفعلين فسأدلك على ذلك:

أولا: اتركي الإحساس بأنك مخلوق مهمش، والشعور بأنك كيان ناقص.

ثانيا: تعلمي تاريخ نساء ملأن التاريخ تفوقا ومجدا وخلودا.

١- كحواء التي شاركت آدم في بناء الأسرة البشرية الأولى، وقامت بدور السكن والمودة والرحمة، وتحملت مع آدم آلام

النزوح من الجنة، وسلكت مع زوجها طريق التوبة والابتهال إلى الله أن يعفو عنهما.

٢- وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون التي تحدَّتْ زوجها الجبار، وكسرت ناموسه، وأعلنت إيمانها، فكانت رمزَ البطولة والإيمان والتحدي والصبر والثبات :﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

٣- و مريم ابنة عمران: ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ كانت مثال الطهر والعفة والعبادة والإيمان، وحملت بأحد العظماء من رسل الله وأكثرهم أتباعا.

٤- وابنتي شعيب بطلتي هذه القصة.

٥- وخديجة بنت خويلد زعيمة بنات حواء ورائدتهن، أم المؤمنين الكبرى، زوج خاتم

الرسل، ووزيره، وأنيسه، وجليسه، ومستودع سرّه، وأم أولاده.

٦- فاطمة الزهراء ريحانة أبيها، المقربة من ربها، المفضلة على نساء العالمين، زوج أفضل أصحاب والدها، وأقرب المقربين له من أسرتها، وأشجع من مشى ويمشي على وجه الأرض علي بن أبي طالب عليه السلام، أنجبت له سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام .

٧- وابنتها زينب الكبرى الجليلة القدر، الشامخة الهامة، والمنتصبة القامة، التي وقفت كالطود العظيم، والشامخ المنيع، في فاجعة كربلاء، وتحملت صدمة قتل أخويها الحسين، والعباس، وعشرين من نجوم أحفاد أمها الزهراء، وفلذات كبد عبد المطلب بن هاشم، وسبعين من أنصار أخيها، وخرجت من بين الأشلاء مع

النساء تتقدمها رؤوس الأحبة، تسوقها المطايا إلى أَلأَمِ خلق الله طينة، وأخبث بني آدم عجينة: عبيد الله بن زياد، ثم يزيد بن معاوية.

٨- ونسيبة والخنساء.

تقبلي هذه القصة، ومن بعدك كل رجل عظيم أسْهِمْتِ في عظمته، حتى قيل: وراء كل عظيم امرأة .

بقلم:

د. المُرْتَضَى بْنُ زَيْد المَحَطْوَرِي الحَسَنِي

صنعاء ٦ / ربيع الآخر / ١٤٢٤هـ .

الموافق: ٦ / ٦ / ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

أرجو من القارئ الكريم تَقَبُّلَ هذه الدردشة، التي ليس فيها من الجودة والجمال إلا أنها كما علم الله من القلب، وبدافع المحبة، وهي محاولةٌ لِلَفْتِ الأنظار التي تَسَمَّرتْ في هذا العصر المُبْهر بشاشات الفضائيات، وما يُعرض عليها من بهرجة، وجمال وإغراء، ونقل حي مباشر، يجعل القراءة كئيبة الشكل، ثقيلة الظل؛ لهذا ليس لديّ ما ألفت به نظر القراء إليَّ سوى أن أقول: اقرؤوا ولو على كُرْهٍ منكم قوله تعالى:﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾، فربما أرحْتُكم بالحقيقة عن السراب، فالجمال الذي يشدنا إلى الشاشات إنما هو سحر وخداع في أغلب أحيانه، فالمساحيق والطلاء والتجمل، والشَّعْرِ المستعار، والصباغ - دور ضخم في رسم ملامحه، وبعض الأجسام المعروضة مصابة بالأمراض المعدية، والبعض الآخر مثل الأجير المشترك، وبعضها صور قديمة قد

مات أصحابها أو شاخوا.

وإذا كان ولابد ولا محيص عن ضياع العمر والدين، فلا نستسلم كلية، ولا ننبطح أرضا مسحورين مبهورين مأسورين، ولكن كما قال الله سبحانه: ﴿خَلَطُواْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وأرجو أن يكون ظني في غير محله، وأن القارئ ما زال قارئا، وليس آلةً في قبضة الآلة، وهو متهيئ معي لقراءة ما أستنبطه له من سورة القصص في شأن موسى وابنتي شعيب؛ وإنْ بنظرةٍ كليلة، وفكرة عليلة، إلا أنه من وحي القرآن.

أولاً: في مطلع السورة تأكيد لرسول الله ﷺ بأن القران كتاب عربي واضح مبين: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ وهذا يفيدنا أن من حق الإنسان أن يُرَوِّجَ لسلعته، وأن يستعرض مزاياها إن

كان صادقا، وأصدقُ ورقةٍ ثقافية صادرة من الله ما زالت نقيّةً هي القرآن.

ثم دعا الله نبيه لِيُرْهِفَ السمع؛ ليتلو عليه قصةَ أكبرِ رمزين في الزمن الغابر:

رمز الخير الذي يمثله **موسى**، ورمز الشر الذي يمثله **فرعون**: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾.

ما الذي جرى؟

مخلوق تافه نسي أنه من ماء مهين، وأنه جرى في مجرى البول مرارا.

نسي أنه ينظر بشحم، ويتكلم بلحم، ويتنفس من خرم، ويسمع بعظم.

نسي أنه تقتله الشَّرْقَة، وتُنْتِنهُ العَرْقَةُ، وتجرحه الشوكة، وتؤذيه البقَّة.

نسي أن أوله نطفة مَذِرَةٌ، وآخره جيفة قذرةٌ، وهو بينهما يحمل العَذِرَةَ:

نسي الطين ساعة أنه طيـ ـنٌ حقير فصال تِيها وعربَدْ
وكسى الخزُّ جسمَه فتباهى وحوى المالَ كيسُه فتمرد[1]

ماذا فعل؟

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ يالطيف!

ومن هي هذه الطائفة التي ذبح أبناءها؟ ولماذا؟

إنها طائفة بني إسرائيل الذين دخلوا مصر زمن يوسف ابن يعقوب. **وَسَبَبُ ذَبْحِهِمْ**: الخوفُ على ملكه؛ إذ أخبره المنجمون والكهان بزوال ملكه على يد مولود من بني إسرائيل.

---

[1] القائل: إيليا أبو ماضي.

س/ وهل لهذا السفاح من جرائم أخرى؟

ج/ نعم: فقد قلتُ: إنه رمز الشر في العالم القديم، إنه ترقى في غروره حتى اختصر شعب مصر في شخصه فقال: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾، وتمادى إلى أن قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾.

حقًّا إن الشعوب الذليلة هي التي تهيء الفرصة، وتفتح الطريق للفقاعات أن تعلوها وأن تقودها إلى وخيم العواقب: ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾ ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾.

س/ هل للفرعنة ملامح يمكن إبرازها؟

ج/ بدون شك لِلْفَرْعَنَةِ والفراعنة الجبابرة والطغاة

ملامح يمكن تصويرها وتصورها ولكن لا يمكن استيعابها.

س/ كيف؟ ولماذا؟

ج/ أما الملامح للفرعنة فأبرزها: الغرور الزائد، والكبر المفرط، كالبعرة التي تدعي أنها جوهرة، أو الروثة تقول: أنا درة ثم تزعم أنها قمر منير، ثم شمس وسراج مستطير، ثم تذهب بعيدا في الخيال البَعَرِي فتحقر المجرات، وتطاول على الأرضين والسماوات، ثم تعلن بفعل تصفيق البعر، وإطراء الذر، ونِفَاق الدود، وطنين الذباب، أنها رب السماوات العلى، والأرضين السفلى. هذا في مجال الأوهام والغرور والكبر.

أما في مجال البطش فيمكن تقبل ما يفعله الظالمون من القتل بمجرد الظن والشك، وقتل من يستحق الحبس، وذبح مَنْ عقابه اللوم، أما أن يُذَبَحَ أطفال المتهم أمام ناظريه، وتنكح نساؤه، وينتهك عرضه، وتقلع أظفاره، وأشفار عينيه، وتطفأ السجائر في الأماكن الحساسة من جسمه، ويعلق

منكسا، وينفخ في دبره، ويقطع لحمه ويرغم على أكله، ويسقى من بوله، إلى آخر مسلسل الرعب والقسوة والوحشية؛ التي لا يمكن تصورها ويستحيل استيعابها.

ثم إزالة جميع الأسرة من الوجود، ثم القرية والقبيلة، حتى السوائم والطيور وكل شيء يدب على الأرض، وسحق الأحجار، وقلع الأشجار، وحرق الأخضر واليابس.

كُلٌّ الفظائع والفجائع، والخسة والدناءة، التي تفتقت عنها مواهب إبليس لعنه الله، ونفذها الفراعنة – واقعة ملموسة، ولست أدري إن كانت أول مدرسة للفظاعة، والخِسَّة البشرية المتناهية هي مدرسة فرعون موسى؟ لأن هناك مدرسة قابيل والنمرود ونحوهما.

وأجزم بأنها ليست أول مدرسة للشر، ولكنها أول مدرسة للطغيان والفساد والشذوذ والتمرد والغباء الذي فاق كل حد، وجاوز كل وصف، وأسس لفراعنة بني آدم مدرسةً رسميةً ذاتَ ملامحٍ نَقَلَ الزمانُ عن تلاميذها عجائب

وغرائب، شاهدنا منها في عصرنا الحديث: قادة الشيوعية الحمراء في روسيا، والنازية في ألمانيا، والغزاة البيض في أمريكا وما وراء الأطلسي، وأباطرة إيطاليا.

وفي عالمنا العربي أمثلة لا تحصى، لعل من أبرزها: دكتاتور العراق الذي سقط تحت ضربات المارينـز الأمريكي، وعلى إثر سقوطه تأوه الحقد عليه، وتهاوت الأحذية على صوره الكريمة، تشبعها صفعًا وبصقًا وشتمًا، وظهرت المقابر الجماعية للذين دُفنوا أحياء، أو دهسا بالجنازير، أو خنقا بالكيماويات، أو رميًا، أو شنقًا، أو بأي وسيلة يجيدها أبناء الشيطان، وحوش بني الإنسان.

ليس هذا هو المُشْكِلُ والمحيِّرُ؛ وإنما الشيء المحير حقا هو حجم طاقة هؤلاء المجرمين، وجَلَدِهم، وقوة تحملهم على زرع القتل والدمار في كل شبر، وفي كل أسرة، وعلى كل مستوى.

كيف وصلوا إلى مالم يصل إليه الهواء والضوء

والصوت والخيال؟!

ومن عجائب الفراعنة أنهم يتجاوزون رفاهية القصور والبساتين إلى أن يبنوا حمامات البول والغائط من الذهب الخالص، والمقابض من الدُّرِ والياقوت واللؤلؤ والماس، وهم يتخيلون أن غائطهم زبداً، وبولهم زلال، وفُسَاءَهم عطر، وضراطهم مزامير، وكانوا يشمون نتنهم وجيفتهم؛ إلا أن جنون العظمة، وغياب الوعي والعقل جعلهم يقتنعون ويحاولون إقناع أجهزتهم أن القذارة والجيفة التي تخرج عنهم إنما جلبها المعارضون لهم، والناقمون عليهم.

كأني بك أيها القارئ الكريم تتوهم أني أبالغ، أو أني أفرطت في السخرية، وأنت تعرف أن بعض هؤلاء الدواب.

وهذه المرة آخر من أفريقيا و ليس من الشرق الأوسط كان له في كل مدينة عالمية جميلة قصر فخم، وفي كل ساحل متنزه، وكان له في بنوك الغرب ١٣ مليار دولار تتناطح، وكان إذا سافر لا ينزل في أي قصر من قصوره؛ وإنما تُحجز

له أفخم الفنادق، وتُجلَبُ له كل الملذات، وترسل الطائرات الخاصة لجلب العاهرات من غرب الدنيا وشرقها؛ ولأن الفرعون غالبا لا فحولة عنده ولا رجولة وإنما عبارة عن بالون منفوخ؛ فإنه يتلذذ بأن تضع المومسات أقدامهن على وجهه وفمه مقابل أجور باهظة، عصرها من أفواه ملايين الحفاة العراة في بلاده.

إن القدر ليسخر من آدمي يرتعد التمساح خوفًا من قُبْحِ صورته، وبشاعة وجهه، يوهم نفسه أنه معشوق الحور العين.

إني لأرى أناسا تُخاط ملابسهم في لندن، وتصنع أحذيتهم من جلود الحيات، وهم لا يساوون قيمة خيط الحذاء الذي في أقدامهم.

لُطْفُ اللهِ بعباده

رغم ما قاله القرآن بإسهاب عن الفراعنة؛ إلا أن الله يريد أن يمن على الذي استضعفوا في الأرض؛ فصاغت يد القدر فصلا مدهشا بَيَّنَ لنا ضعف الفراعنة:

وَلَدَتْ أُمَّ موسى طفلها، فلفّته بوحي من الله في صندوق، وألقته في نهر النيل، وساقه البريد الإلهي إلى الشاطئ الملكي الفرعوني، ولسان حاله يقول: أتحداك أيها العبد الذليل فها أنا ذا قد أرسلت لك القنبلة التي سَتُفَجِّرُك في قصرك، فتذر ملكك رمادا تذروه الرياح. سبحان الله!

احتضنت الطفلَ امرأةُ فرعون، وألقى الله عليه المحبة، فاتخذه فرعون لنفسه ولدا.

ترعرع موسى عليه السلام في قصر فرعون؛ إلا إن ملاعق الذهب لم تسلب من موسى طبيعة الخير، وناموس الشهامة، والحرية والكرامة، فآتاه الله حكما وعلما جزاء إحسانه.

خرج موسى خِلسة من القصر مستطلعا أحوال الناس،

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ (إسرائيلي)، ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ (قبطي)، وكان القبطي ينهال ضربا على الإسرائيلي؛ ليستعبده كالمعتاد، فاستغاث الإسرائيلي بموسى؛ فزجر القبطي فلم يتزجر؛ فجاشت حمية موسى، وكراهية الظلم، فسدد لكمة قوية للقبطي كانت كافية للقضاء عليه، ثم إنه ندم مستشعرا أنه عقاب مبالغ فيه، فقال: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، وعاهد الله جزاء نعمته أن لا يكون ظهير للمجرمين - أي معينا لهم - ﴿قال رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ توجس بعدها خيفة من بطش فرعون؛ ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا

ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ فأزعج موسى تصرف هذا الإسرائيلي المشاغب الذي يعاني الظلم؛ لكنه لم يُقَدِّرْ حساسية المرحلة، وخطورة الموقف؛ لذلك زجره قائلا: ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾. ﴿فَلَمَّآ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِٱلَّذِىْ هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ إذا بالإسرائيلي يفضح موسى، ويكشف للناس أنه هو الذي قتل الفرعوني بالأمس، قال: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾.

وهنا انكشف موسى وصار في دائرة الخطر.

والسبب تسرع الإسرائيلي، وضعف تدبيره، وسوء ظنه، حيث قدَّر أن موسى حين غضب يريد أن يوجه له لكمة قاضية؛ فباح للمارَّة أن الذي قتل القبطي بالأمس هو

موسى.

أَهْلُ الخير موجودون عَبْرَ الأزمان، فلا يعدم الصالحون وأصحاب الضمائر الحية، والقلوب النقية، في كل زمان ومكان حتى من محيط الفراعنة!

أليست امرأة فرعون هي التي تبرأت من زوجها وعمله؟ وسجل القرآن اعتراضها على زوجها مجرم التاريخ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وهي التي أنقذت موسى من الذبح، وزينت لفرعون اتخاذه ولدا.

سبحان الله يخرج الحي من الميت!!

هاهو حي آخرُ، ومؤمن من آل فرعون استيقظ بجوار الزكية النقية امرأة فرعون، سمع الهمس حول موسى، والمؤامرة

على قتله، فبادر إليه محذرا: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾.

ومن شأن المؤمن أن يكون ذكيًّا فطنًا قويًّا، يتخذ القرار الصائب بسرعة، وهو ما فعله موسى ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ متوكلاً على الله، سائلاً منه الستر والسلامة: ﴿رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

إلى أين سيذهب؟

كما قلت: إن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، ومن القوة: العلمُ والمعرفةُ، والخِبْرَةُ بأحوال الزمان، والبلدان، والجغرافيا، وهو ما أتقنه موسى، فقد عرف كل ذلك، وعرف حدود سلطان فرعون، والحواجز التي تمنعه من اقتحامها، فقرر أن يذهب إلى مدين، أقرب نقطة خارج مملكته، وأنسب مكان يلجأ إليه.

موسى في مدين

وهنا نبدأ قصة من أعجب قصص النبل والرجولة والرحمة والحب الطاهر والوفاء النادر والمعروف

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ﴾ هكذا ألقى هذا الغريب نظرةً سريعةً فاحصةً على هذا الجمع من الرعاة، فلمح في جانب من الناس فتاتين تُكَفْكِفَان غَنَمَهُمَا في جهد وعناء ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِ﴾ فنسِيَ أو تناسى ما هو فيه من غربة، وخوف، وتعبِ سفرٍ طويل؛ فدفعته شهامته للاقتراب منهما تعلو وجهه بسمةُ الوقار، وبهاء الحياء، وملامح الرحمة ممزوجةً بالرجولة فافترت شفتاه قائلاً: ﴿مَا خَطۡبُكُمَا﴾؟ مالكما لا تسقيان مع الناس وتخوضان غِمار الزحام؟

فأجابتاه بأدب جم، وحياء أصيل، وعفة تعطر الدنيا عزةً وكرامة، وأَنَفَةٍ واعتداد بالمبادئ، والتزام بالسلوك الكريم، مع إشارة إلى شيء من قسوة الزمان الذي ألجأهما إلى

تحمل أعباء الأسرة؛ بسبب شيخوخةِ وَالِدِهِمَا، وضمَّنتا كلامهما المقتضب مبادئ علم الأخلاق، ودستور الإنسان المناسب في المكان المناسب، وقواعد الذوق:﴿قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾، نحن من أسرة محترمة، تمنع تقاليدُها كرائمَها من الاحتكاك بالأجانب، ومزاحمة الغرباء، والمرأة وإن مارست العمل في أي شكل من أشكاله، إلا أنها ما زالت مثلَ سواد العين؛ لا يجوز التفريط بأنوثتها، ولا يصح خدش حيائها؛ والاختلاط والمزاحمة خطر على حدقة العين؛ فقد تصاب بالقذى؛ فلا تأمن المرأة من غامز أو لامز، فكم في الغوغاء من دنيء الهمة، ساقط النفس، طويل العين، بهيمي الطبع.

فَلْنَنْتَظِرْ وإن شق علينا الانتظار، وَلْنُوَاجِهُ الواقع بثبات وصبر، فأبونا لا يقدر على نجدتنا لِكِبَرِ سِنِّهِ، وعجزه عن السعي.

وهنا تدفقت ينابيع الرحمة، وسالت أنهار الحَمِيَّة،

وفاضت روافد الرجولة والشهامة والنخوة، واندفع موسى أمام الغنم ولسان حاله يقول:

لستُ لعمران، ولا ابنَ يعقوب، ولا حفيدَ إبراهيم؛ إن لم أخذ لكما حقكما، وأرفع بين الملإ قَدْرَكُمَا. فسقى لهما بعد أن ألقى على الرعاة درسًا موجزًا عن الاحترام والتقدير، وحقوق المرأة، والطفل، والشيخ الضعيف.

وبعد أن قام بالواجب، وطَيَّبَ خاطر الفتاتين لم ينتظر ثناءهما، ولم يسارقهما نظرات الإعجاب - مع أنه قد خطف العقول والقلوب، واستحوذ على المشاعر والمآثر - بل ذهب إلى ظل شجرة قريبة، وبدأ يناجي ربه مغتبطا بفعل الخير، ومحتاجا إلى لطف الله به؛ فهو مسافر، جائع، مطارد: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٍ فَقِيرٞ﴾. يا إلهي أنا محتاج لأي خير عاجل ينزل منك علي.

وقد أودع الله سمع الفتاتين هذه المناجاة الحميمة،

فطارتا مع الغنم إلى الشيخ الجليل - إلى والدهما نَبِيَّ الله شعيب - فتعجب من إيابهما المبكر؛ فأخبرتاه: بأن شابا غريبا محترمًا كريمًا نبيلاً سقى لهما الغنم، وهو تحت الشجرة.

وقالتا لأبيهما: يا أبتاه أفلا نكافئه على معروفه، ونرحم غربته كما رحم ضعفنا، فتصنع إحدانا طعامًا، وتذهب الأخرى لإحضاره؟

فتهلل وجه الشيخ الوقور شاكرًا ربه أن رزقه هاتين الدرتين اليتيمتين، والجوهرتين النادرتين اللتين حفظتا تأديبه، وكريم تربيته.

فأجاب: حقًّا حقًّا إن لهذا الفتى علينا حقوقا كثيرة.

- وما هي يا أبتاه؟
- فأجابها:

١- حق المكافأة؛ فمن صنع لك معروفًا وجبت مكافأته ولو بالشكر والدعاء، ونحن سنكافئه بأكثر من ذلك.

٢- حق الضيافة للغريب.

٣- حق تأمين الخائف وإغاثة الملهوف .

٤- حق تنزيل الناس منازلهم، وهذا شاب نادر المثال؛ ثم إن ضياع الفرصة غصة، وقد أهدى الله إلينا هذا الفتى فَلْتَذْهَبْ إحداكن لإحضاره.

فانطلقت إحدى الأختين بعد ما رتبت مع أختها مراسم الاستقبال وعناصر الوجبة، فاتفقتا على ذبح كبش سمين من خيار الكباش التي استقت من كف موسى، وذُبح على الفور، ووُضِع على النار، وتركت لأختها تجهيز الخبز الحار؛ ريثما تعود بالضيف الكريم، والشاب العزيز.

فأطلقت قدميها للريح؛ لكنها لما اقتربت كانت تمشي على استحياء، فوجدت موسى مستلقيًا تحت الشجرة كما تَرَكَتْهُ، وكأن إحساسه قد قال له: أنت على موعد مع الفرج العاجل، والخير القريب.

فإذا بالفتاة واقفة، فقالت: سيدي تفضل بالقيام معي فإن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا .﴿فَجَآءَتْهُ

إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾

هكذا أوضحت له المهمة وسكتت على مخزون هائل من الود والتقدير والإعجاب.

لم تكن التربية والأخلاق تسمح لموسى والفتاة أن يدخلا في الحديث الدافئ الذي يجلبه الحب من أول نظرة عند شباب هذا الزمان:

نَظْــرَةٌ فَابْتِســامَةٌ فَــسَلاَمٌ   فَكَــلاَمٌ فَمَوْعِــدٌ فَلِقَــاءُ

من حق الإنسان أن يخفق قلبه بالحب نبيا كان أو ابنة نبي؛ لكن ليس من حقه أن يُحَوِّلَ الحبَّ الطاهر إلى علاقة غير طاهرة؛ لذلك فهم موسى رسالة الفتاة، وانطلق وراءها، فما هي إلا خطوات حتى قال لها: سيدتي، أرجو أن تتفضلي بالسير خلفي؛ لتكوني في حرية وراحة وعَدَمِ كُلْفَةٍ، ويكفي أن تدليني على الطريق بقولك: يمين ، شمال.

فازداد احترام الفتاة وإعجابها، وذهبت المشاعر مذاهبها: من أين هبط هذا الفتى؟ من أي سُلاَلَةٍ ينحدر؟ من أين رُزِقَ هذا المخزون الهائل من القوة، والشهامة، والنبل، والمروءة، والأدب، والخلق، والوقار، والعفة، والرحمة، والشفقة، والحنان، والطهارة ......؟ إلى آخر الصفات الحسنة، ومكارم الأخلاق.

فلما جاء شعيبا، وحيَّاه تحية الابن للوالد، تحية أبناء الأنبياء للأنبياء ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ﴾، رَبَّتَ على كتفه وطَمْأَنَهُ: ﴿قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فقد خرجت من مملكة فرعون، وأفْلَتَّ من دائرة نفوذه؛ فلا سلطان له على هذه البلاد.

واسترسل قائلاً: تفضل يا بني فاخلع ثياب السفر، وأَلْقِ عصى الترحال، وطِبْ نَفْسًا، وَقَرَّ عَيْنًا، واهْدَأْ رَوْعًا، فقد قادك حُسْنُ الطالع، وهداك جميل الحظ، إلى بيت نبي يود أن

يشكرك ويكافئك على معروفك وإحسانك إلى ابنتيه بسقي الغنم.

هكذا كان يدور الحديثُ الوُدِّيُّ، والشيخ النبي الكريم يَرْمُقُ مَخَائِلَ موسى، ويتفحص ملامحه، فيرجع إليه طرفه ناقلا فُتُوَّةً ظاهرة، وأثر نعمة، وملامحَ عز، وشرف، ورئاسة؛ لأن موسى تربى في قصور فرعون، وتقلب في بحبوحة الرفاهية والعز.

ثم ما ملأ قلبه وعقله من ثناء ابنتيه عليه، ثم ما سمعه وشاهده: من سَلاَمِهِ، وكلامه، وحركاته، فأدرك أنه شاب استثنائي، وفتىً غير عادي.

فدارت الأفكار في رأس الشيخ حول وضع موسى في العائلة؛ فقد أدرك أن بيته محتاج لهذا الفتى النبيل؛ لكنه صمت قليلا ريثما غيَّر موسى ثيابه وغسل يديه، وتهيأ لتناول طعام الضيافة.

وقد انضمت الفتاة التي ذهبت لإحضار موسى إلى

أختها، واشتركت معها في إعداد الطعام لهذا الضيف العزيز، والوافد الكريم، وأخبرت أختها بما اكتشفته من مزايا موسى حين لمح حياءها في مشيتها، فخاطبها في إجلال وذوق وتقدير، طالبًا منها السماح له أن يمشي أمامها، قائلة لها: يا أختي إنه قويٌّ أمينٌ شهم.

فبادلتها نفس الشعور وقالت: يا أختي ما أظن هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم، ولعلك يا أختي متفقة معي أن بيت شعيب محتاج إلى رجل، ولن نجد مثل هذه الهدية التي أرسلها الله لنا، وإن منطق العقل والعاطفة والواقع كلها تقضي بأن يبقى عندنا، وأن لا يضيع من أيدينا؛ ولا سيما وقد شاهدنا سويًّا، ولمسنا معا أن طباعه مثل طباعنا، وأخلاقه مثل أخلاقنا؛ وكأنما تربى على يد أبينا شعيب، فَفَكِّرِي بسرعة معي حول الطريقة المناسبة التي ندخله منها إلى العائلة.

دق قلب الأخت بقوة، وسارقت أختها نظرات الحياء والتكرم، وصمتت وتركت لأختها الكبرى أن تواصل

الحديث، فقالت: لا وقت للصمت؛ فالطعام جاهز، والضيافة إن لم تكن بالمستوى الذي يليق ببيت شعيب ومقام موسى فهي ناقصة، ولا تدل على المروءة والوفاء وحسن المكافأة؛ ولهذا أصارحك يا أختي أن إحدانا يجب أن تكون زوجا لموسى حالا؛ فهو الرجل المناسب في المكان المناسب؛ ولن نجد أفضل ولا أكرم منه، ألم تشاهدي معي أنه حاز كل شروط الكفاءة، وجمع كافة صفات الرجال الحميدة.

ازدادت ضربات قلب الصغرى، وتساقطت قطرات العرق كأنه حبات اللؤلؤ، وانعقد لسانها فلم تقدر على الكلام.

فقالت الكبرى ممازحةً أختها الصغرى: مالك لا تتكلمين أيتها الماكرة؟ أما ترضين بموسى زوجا يصونك ويصونني ويقوم بخدمة أبي؟ أهذا وقت الصمت؟

فأجابتها أختها بالعناق ودموع الموافقة، مستشعرة حب أختها الصادق، وإيثارها الذي لا يوصف؛ حين جعلت

نفسها بمثابة الأم لأختها، وآثرتها بموسى على نفسها، فَحَشْرَجَتْ بصوتٍ خافت: أبقاك الله وأسعدك، وجعلني فداءك.

ثم تَمْتَمَتْ: وهل يليق بنا أن نخطبه؟

فابتسمت الأخت الكبرى، وفركت بأذنها وقالت: وهل تعدم النساء الحيلة؟

سنخطبه بطريقة لبقة مهذبة، ثم إنه نوع من الشبان الذي لا ضير ولا حَرَجَ في طلب يده وخطبته مطلقا، وما هو إلا كنزٌ من الفضائل، من حُسْنِ حظ أي فتاة تليق به أن تستحوذ عليه.

حينئذ قررتا صيغة الخطاب، ودخلتا بالمائدة وعلى الفور قالت إحداهما: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾.

أدرك شعيب فورًا مغزى كلام ابنته فأجاب حالاً

مخاطباً موسى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾.

وأدرك في لمح البصر أن موسى فقير، ثم إنه يريده أن يبقى كما أشارت ابنته فأكمل كلامه: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

تَهَلَّلَ وجه موسى مدركًا حجم الحفاوة، وعمق التكريم، ودفء الضيافة.

فأجاب: أتشرف بِمُصَاهَرَتِكَ يا عم، وأشكرك وابنتيك على كرم الضيافة، وحسن الوفادة، وجميل الثقة، و لم أفعل ما يستحق هذا الجميل الكبير؛ لولا أن البيوتات الكريمة تجعل من حَبَّةِ المعروف قُبَّةً، ومن حَصَاةِ الجميل جبلا،

وسأكون عند حسن ظنك، وأنا موافق: ﴿ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾.

ذرفت العيون فرحا وترقرقت الأماقي تأثرًا بهذه المناسبة السعيدة، وامتلأ البيت غبطة وسعادة ودِفأ، ومد الشيخ يده لموسى وتم عقد القران بابنة شعيب الصغرى، بمشورة أختها الكبرى.

نظر موسى إلى عروسه الخجلى التي كادت أن تسقط حياءً وسرورًا وحبًّا. وطلب منها الجلوس بجواره وقال ممازحا: أتمنى أن تكوني ست بيت ممتازة، وسأجرب خبرتك في صنع الطعام الآن.

فأَبْدَتْ أناملها المرتجفة، وكشفت عن وجه المائدة الشهية الحارة اللذيذة، التي طبخت على نار المحبة والحياء والكرم والمعروف.

وقالت في أدب وخجل بدأ يتلاشى رويدًا رويدًا: يا زوجي الحبيب قد كدتُ مع أختي نطبخ لك أصابعنا حبا لك وتقديرًا لمعروفك وفعلك النبيل، وإذا لم يعجبك هذا الطعام الذي تيسر لنا فأسأَلُ الله أن يعينني عليك فستكون زوجا..... ضحك الجميع واجتمع الشمل على المائدة النبوية المباركة وأصبح موسى رجل العائلة.

وبعد أن أخذ موسى حظه من الطعام طلبت منه زوجُه أن يهنأ بقسط من الراحة في غرفته التي أُعِدَّتْ لهما على عاجل، واستأذنته أن تساعد أختها في غسل الأواني واستكمال شئون العرس، فأوعز لها بأنها أميرة البيت، وكل رغباتها مجابة.

وَدَّعَ موسى عمه شعيبا داعيا شاكرًا سائلا الله أن يديم المعروف.

واستلقى في غرفته حامدًا ربه على كرمه ونعمته ولطفه، مبتهجًا بسرعة إجابة الله لدعائه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ

أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾، لك الحمد يا رب أمَّنْتَنِي من خوف، وأطعمتني من جوع، وآنستني من وحشة، وآويتني من غربة، وَأَذْهَبْتِ عَنِّي قَشَفَ الْعُزْبَةِ هل أحصي ثناء عليك؟

لك الحمد عدد خلقك، ورضاء نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، لك الحمد كما ينبغي لجلالك وعظيم سلطانك.

خلاصة لما يمكن استنباطه من فوائد وأحكام من هذه القصة:

١- وحشية فرعون وقسوته وغروره، وتفوق الشيطان عليه؛ حتى أوصله إلى أقذر مستنقع، وتركه مرميًّا في مزبلة التاريخ، موهما إياه بأنه إلٰه، فلم تنفعه دنياه، ولا عظمته المتوهمة، ولا الأنهار التي كانت تجري تحته، ولا جبال الأهرام التي اتخذها لِيُخَلَّدَ فيها بعد موته، ومن العجب معرفته بالموت دون أن يتعظ به.

٢- دور المجتمع في خلق

الفرعنة.

٣- لا يخلو مجتمع من ومضات خير فجاء من آل فرعون، ومؤمن آل فرعون.

٤- لابد للظالم من نهاية، وكانت نهاية فرعون وقومه الغرق.

٥- لن يضيع الله صبر الصابرين، وعذاب المضطهدين وقد أورث الله الأرضَ هؤلاء المستضعفين من بني إسرائيل.

٦- عندما يُصرع الظالم تستريح منه الدنيا، ويتلى على نعشه: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ ، وصدق الله القائل : ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا

فَسَادًاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾.

٧- ذبح فرعون لأطفال بني إسرائيل خوفا على ملكه لم يُجْدِهِ نفعا، فما من المُقَدَّر حذر، ولا من المكتوب حيلة، ولا مفر لأحد من قضاء الله وقدره.

٨- سخرية القدر الإلهي من فرعون؛ حيث جعله يربي عدوه بنفسه.

٩- الله غالب على أره، فما كتب في الجبين ما يقدر الكف يمحوه.

١٠- المعدن النفيس لا تفسده المفسدات، كموسى خرج من بيت فرعون ثائرا عليه مُنْكِراً ظلمه.

١١- من طلب الله أجابه، ومن توكل عليه كفاه، كما فعل الله بموسى حين هداه إلى مدين، وأنجاه أولا من فرعون كما أنجاه منه ثانيا.

١٢- المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وقد ظهر ذلك في قوة موسى وقضائه على الخصم،

ثم تحمله مشقة السفر رغم أنه حديث نعمة .

١٣- المعرفة بأحوال الزمان هَدَتْ موسى إلى مكان آمن. وهكذا ينبغي أن يكون الأذكياء.

١٤- قوة الملاحظة أدت بموسى إلى التعرف على ابنتي شعيب فور وصوله.

١٥- الثقة بالله وبالنفس، وحب الاستطلاع من أجل الخير، دفع بموسى إلى سؤال الفتاتين عن حالهما .

١٦- مبادرته إلى سقي الغنم بقوة وثقة واقتدار، غير عَابِئٍ بغربة، ولا آبهٍ بمشقة جوع ولا سفر، إحساسا منه عليه السلام بقوة الخير، وجمال المعروف، ثم إن البلاد بلاد الله، والسيادة فيها لله .

١٧- شهامته التي منعته من ملاحقة البنتين المعجبتين به بنظراته، أو أحاديثه حيث ذهب إلى ظل الشجر طالبا من الله الجزاء.

١٨- سرعة الإجابة لدعائه. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي

عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

١٩- الصنائع ودائع، كما يقول المثل: وَفِعْلُ الجميل لا يضيع.

ازرع جميلا ولو في غير موضعه فلن يضيع جميل أينما وُضِعا
إن الجميل وإن طال الزمان به فليس يحصده إلا الذي زرعا

وقال آخر :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله الناس

٢٠- صادف معروف موسى خير محل، وأكرم أسرة، وأزكى معدن.

٢١- من الواجب رد الجميل بأقصى سرعة ممكنة، وهو ما فعله شعيب وابنتاه.

٢٢-لا حرج أن يتكلم الرجل الغريب مع المرأة؛ ما دام ذلك في حدود اللياقة والشرف والتَّصَوُّنِ، وليست المرأة عورة فقط، وشهوة فحسب، بل هي مخلوق يحمل كنزا من القدرة على الإبداع والتفوق.

٢٣-الحياء تاج المرأة الجميل، فلم تجد ابنة شعيب الخجولة حرجا من الذهاب لموسى بمفردها؛ لمعرفتها المسبقة بأنه ثقة، واطمئنانها التام إلى أن الشاب الذاهبة إليه أحرص عليها من أبيها وجدها وعمها وخالها؛ إنه حفيد يوسف الذي ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ﴾ أي زوجك ﴿ رَبِّيَ ﴾ أي سيدي ﴿ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ فلا أخونه في أهله ﴿ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ .

٢٤- ومع ذلك لم تغفل ابنة شعيب وسائل المحافظة على نفسها: من الحياء، والمِشْيَةِ المؤدبة، فلم تذهب بحلة زاهية، ولم ترفل في الخلايل والأساور والدمالج، ولم تتعمد الإغواء والإغراء؛ لتلفت نظر موسى؛ لأنها مؤدبة عاقلة مؤمنة بأن هذا ليس الأسلوب الصائب الذي تحوز به إعجاب موسى، ولو فعلت لَمَقَتَهَا، واستسمجها، وامتنع من الذهاب معها، ولم تصر زوجا له بعد لحظات.

٢٥-التجانس، وموافقة الغطاء للإناء هو الذي قرب

الفتاة من فتى أحلامها وقَرَّبَهُ منها في زمن قصير بدون عناء تبادل كلمات الحب ورسائل الغرام.

٢٦-مواهبُ التخمين، وصدق الحدس، وذكاء الفطرة أرزاقٌ من الله رزقها ابنة شعيب، كما رزقها خديجة بنت خويلد والموفقين من عباده.

٢٧-إكرام الضيف واجب ديني وإنساني. قال صلى الله عليه وآله وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه).

٢٨-نصرة المظلوم وإغاثة الملهوف واجب كذلك، وهو ما قام به نبي الله شعيب .

٢٩-انتهاز الفرصة محمود العواقب، وضياعها غصة، وأجمل فرصة هي ما انتهزتها ابنتا شعيب باختيار موسى زوج إحداهما.

٣٠-لا عيب أن تخطب المرأة زوجا كفوا، كما يخطب

الرجل امرأة كفؤة، المهم وجود الدين والخلق.

٣١-لا مانع من عمل المرأة؛ ما دامت من طراز ابنتي شعيب: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾، ولا سيما عند الحاجة إلى العمل: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾.

٣٢-إذا وُجِدَ للمرأة من يكفيها مؤنة عناء الدخول والخروج، فليس من شرط الحضارة والتقدم أن نجعل من عمل المرأة في كل المرافق عنوانا على أننا أمة متحضرة، وليس دليلا على أنا نعطي المرأة حقوقها؛ لأن حقوق المرأة ممنوحة من الله وليست هبة من أحد. والبيت والأولاد والزوج من أهم الواجبات المقدسة التي لا تصلح لها سوى ربة البيت.

٣٣-السلوك الراقي من الرجل ممثلا بموسى، والمرأة ممثلة في ابنتي شعيب، جعل قصصهم حديث القرآن، ومضرب الأمثال، ومنار الأجيال.

٣٤-السهولة واليسر في الزواج الذي حصل هو الذي يحفظ للرجل والمرأة حق الاستقرار والأمان. وكم نحن بحاجة

إلى هذا اليُسْر في هذا الزمان.

٣٥-القيمة والقدر الذي نالته المرأة المتمثل في مهرها المتفق عليه بين نبيين كريمين، وهو رعي الغنم ثمان سنوات، وتمتد بالتراضي إلى عشر سنوات. أظهر المستوى الرفيع الذي تحتله المرأة المحترمة، وأنها أهل ؛ لأن يخدمها نبي، ويرعى من أجلها ثلاثة آلاف وخمسمائة يوم.

٣٦-ليس المراد من الرعي هذه المدة الطويلة وضع الشروط الثقيلة، والمبالغة في المهور، كما هو الحاصل في هذا الزمان من مبالغات، وتكلفات مرهقة للزوج وأسرته، والعروسة وأسرتها، إلى الحد الذي حَرَمَ الكثيرين من الرجال والنساء من الزواج؛ وسيؤدي الحرمان بسبب المغالاة، وصعوبة المعيشة إلى خلل اجتماعي وأخلاقي وصحي؛ وإنما غرض شعيب عليه السلام استبقاء موسى عنده بمثابة ولده، وليكون رجل البيت، ولا سيما وهو غريب مطارد بحاجة إلى الهدوء والأمان والاستقرار في بيت شعيب خاصة، والسبيلُ الوحيد

لتحقيق هذه الأغراض هو عقد الإيجار والزواج، وإِنْ في شكل ملزم.

٣٧-من اللائق بالمرأة تجنب المواقف والمواطن التي لا تتناسب مع رقتها، أو تخدش أنوثتها وحياءها، ومن حق المجتمع أن يستفيد من مواهبها وقدراتها، ومن حقها أن تسهم في بناء مجتمعها وأسرتها على شرط سلوك ابنتي شعيب ولا تنسى المرأة أن البيت وشئونه من أقدس المقدسات.

٣٨-الوضوح التام من جانب شعيب ، والشرط الواضح ولين الكلام القريب من الاعتذار: ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَ﴾ كل ذلك طيب خاطر موسى.

٣٩-كلام المؤمن قبض باليد ، وما أوله شرط آخره نور. ﴿ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾ نعم كلام الرجال أثمانها.

٤٠-لا ينبغي أن يغفل المؤمنون عن ربهم، واستحضار

جلاله في معاملاتهم وسائر شئونهم، فلا يتم لهم أمر إلا بعونه وتوفيقه ولطفه، ذلك توافق عليها شعيب القائل لموسى : ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وموسى حين رد بالموافقة قائلا : ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ .

٤١-حسن المعاملة من صميم الدين، بل قال خاتم المرسلين: (الدين المعاملة)، وقال: (رحم الله امرأً سمحا إذا باع، سمحا إذا اشترى، سمحا إذا فض، سمحا إذا اقتضى).

وصلى الله على محمد وآله وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.